أثر اللغة العربية في بناء شخصية الطالب

أ. رشيد شهبة

ملخص البحث:

طالب العلم ليس كسائر الناس فهو يحمل رسالة عظيمة وأمانة ثقيلة على عاتقه ليبلغها إلى أبناء أمته، والطالب العربي المسلم الحمل عليه أشد، والأمانة عليه أثقل، وذلك أن الأمانة هي اللغة العربية، فعزه من عزها، وشرفه من شرفها، فإذا شرُف بها شرَفته، وإذا سما بها سمت به، وإذا حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ودنياه وآخرته، فلا شك أنّ للعربية أثرا كبيرا في بناء شخصية طالب العلم، وصقلها في قالب يليق به، كمسلم، يليق به كمنافح عن لغة القرآن، وهذا الأثر يتجلى في حياته وفي تحصيله، وفي دعوته إلى تعلمها وتعليمها.

الحمد لله، فتقَ ألسنةَ عباده بالبيان، وأجراها باللغة في كلِّ آنٍ وشانٍ، يصِلون بلُغاتهم إلى قِمَم الإبداع، وذروة الإفهام والإقناع، نحمدُه – سبحانه – ونشكره ومن مساوئ أعمالنا نستغفره.

الحمد لله حمدًا طابَ وانتشرا
على ترادُف جُود في الوُجود سَرَى
حمدًا كثيرًا به نرقَى بجنّته
على منابر أُنسٍ نبلُغُ الوَطَرَا

مكانة العربية

اللغةُ العربيةُ زهرةُ التأريخ العابقة، ومُزنةُ النور الوادقة، وإشراقةُ الدنيا الصادقة، وشهادةُ الأجيال الناطقة، إنها المنهلُ الدّفوقُ للعلاء والتّمكين، والبيانُ والتبيينُ للنورِ والحقّ المُبين، والينبوعُ الثّرُّ الذي ترتوي منه العقولُ الصادية، والسّراجُ الوهّاجُ الذي يُضِيءُ المُجتمعات العاشية.

لغةٌ إذا وقعَت على أسماعنا
كانت لنا بردًا على الأكباد
ستظلُ رابطةً تُؤلّفُ بيننا
فهي الرجاءُ لناطقٍ بالضاد

×× ويكفيها شرفا أنها لغة القرآن الكريم، فقد بين الله في مواضع كثيرة من كتابه الكريم أنه أنزله بلسان عربي مبين:

يقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/ ٠٢). والآية صريحة في كون القرآن نزل باللسان العربي، ولا يخفى عليك-أيها الطالب- مكانة القرآن وعلو منزلته، ورفعة مكانته، فلا شك أنه نزل بأفصح لسان وأبينه، وأشرفه، وهذا المعنى أشار إليه غير واحد من المفسرين، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:« وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزلَ أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه »١.

ويقول الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء/ ١٩٢-١٩٥).

يقول السعدي-رحمه الله-: «وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث إليهم، وباشر دعوتهم أصلا اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين»٢.

ويقول سبحانه: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت/٠٣).

يقول ابن عاشور في تفسير الآية: «عربياً: صفة (قرآناً)، وهذا وصف يفيد المدح، لأنّ اللغة العربية أبلغ اللّغات وأحسنها فصاحة وانسجاماً. وفيه تعريض بالامتنان على العرب، وتحميق للمشركين منهم حيث أعرضوا عنه وكذبوا به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء /١٠) »٣.

ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى/٧).

×× ومن شرفها أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم، والناس مأمورون باتِّباعه، كما قال تعالى: (الأعراف: ١٥٨) فهذا يدل على أن اللسان العربي لسان مُتَّبَعٌ، وأمة اللسان العربي أمة مُتَّبَعة مؤثِّرة في الأمم، ويظهر ذلك في أن أمة النبي صلى الله عليه وسلم عليها أن تنشر دينه بين الأمم، وهذا لا بد فيه من نشر اللسان العربي، ونشر ما تتميز به من عادات وتقاليد من خلال احتكاكها بالأمم الأخرى.

يقول الشافعي: «فإن كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض وان يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع وأولى الناس بالفضل باللسان من لسانُه لسانُ النبي ولا يجوز -والله أعلم- أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه»٤.

× وهنا نكتة لطيفة: وهي أن الله قد نص في كتابه أنه يسر القرآن للذكر، كما قال سبحانه: (مريم: ٩٧)، وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨)، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: ٣٢)، والقرآن إنما نزل بلسان عربي مبين، كما سبق، فهذا يدل على أنه يسر اللسان العربي للتعلم والنطق به، فهل من متعلم؟؟.

يقول الثعالبي مبينا مكانة العربية: « من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره »٥.

×× ومن شرفها أنها محفوظة بحفظ الله لها: وذلك أن الله قد تكفل بحفظ القرآن، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٠٩) والقرآن إنما نزل بها، فهي باقية ببقائه محفوظة بحفظ الله دينه، « فلولا أن العربية لغة الإسلام ولولا أنها تحمل من المفاهيم الحضارية والدينية السابقة الوجود والكثير من المفاهيم العلمية التراثية التي كانت أساسا لانطلاق الحضارة الغربية لاندثرت منذ زمان بعيد أو انزوت إلى لغة لا كتابة لها ولا تراث واختفت في هذه اللهجات التي تفرعت عنها »٦.

وهذا الارتباط بين حفظ الله للغة بحفظه للقرآن نبه عليه علماء اللغة من قبل، يقول أبو حاتم الرازي(ت٣٢٢): «ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين، والأئمة الماضين، لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، ولعفّى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم»٧.

ولهذا لا تقاس اللغة العربية مع غيرها من اللغات من هذا الجانب، «فإنّ أقصى عمر لهذه اللغات الحية المعاصرة، في شكلها الحاضر، لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير، وعُرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولا تجد في ذلك حرجا، لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب مقدس، كما هو حال العربية»٨، وهي التي تستمد عنصر الحياة من ارتباطها المعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم.

×× ومن حفظ الله لها أن أوجب على المسلمين تعلمها: فيجب على من دخل الإسلام أن يتعلم منها ما يقيم به شرع الله، فقد أمرنا ربنا جل وعلا بقراءة ما تيسر من القرآن، فقال سبحانه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل/٢٠)، فكيف يقرأ القرآنَ من لا يعرف لغته؟

وقد فرض الله سورة الفاتحة في الصلاة، ولا يجوز قراءتها بغير العربية، فكيف يقيمها إذا لم يتعلم اللسان العربي؟، وهكذا كثير من العبادات.

وهذا ما نص عليه علماء الإسلام:

يقول الشافعي: « فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ويتلوا به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك »٩.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية »١٠.

وقال في موضع آخر: « فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ؛ ونصلح الألسن المائلة عنه ؛ فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة ؛ والاقتداء بالعرب في خطابها »١١.

قال الماوردي: «ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره»١٢.

×× واللغة العربية لغة لا تهرم، فهي لغة متجددة، لأنها لغة القرآن، والسنة، يقول الرافعي: «إنّ هذه اللغة بنيت على أصل يجعل شبابها خالدا عليها فلا تهرم ولا تموت؛ لأنها أُعِدّت من الأزل فلكا دائرا للنيرين العظيمين: كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ثَمّ كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها أُخذة السحر؛ لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع»١٣.

أثر اللغة العربية في بناء شخصية الطالب:

إن اللغة العربية جزء لا يتجزأ من شخصية الطالب المسلم، فهي والإسلام عنصران أساسان في بناء شخصيته، «واللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، متميزا قائما بخصائصه، تتحد بها الأمة في صور التفكير، وأساليب أخذ المعنى من المادة»١٤.

بل إن قوة اللغة ودقة التركيب دليل على قوة الملكة عند أهلها، يقول الرافعي: « والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمقها هو عمق الروح، ودليل الحسّ على ميل الأمة إلى التفكير في الأسباب العلل »١٥.

والطالب ليس كسائر الناس فهو يحمل رسالة عظيمة وأمانة ثقيلة على عاتقه ليبلغها إلى أبناء أمته، والطالب العربي المسلم الحمل عليه أشد، والأمانة عليه أثقل، وذلك أن الأمانة هي اللغة العربية، فعزه من عزها، وشرفه من شرفها، فإذا شرف بها شرّفته، وإذا سما بها سمت به، وإذا حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ودنياه وآخرته.

يقول شيخ الإسلام: « فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون »١٦.

وإذا أصبنا بالضعف في لغتنا ضعفت صلتنا بديننا، وذلك أن فهم الدين لا يكون إلا بها، فحين نفقد آلة الاغتراف من معينه الصافي، أصابنا من الخور بقد فقدنا، قال عمر رضي الله عنه: كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام مهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

قال مصطفى صادق الرافعي: « ما ذلّت لغةُ شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيُّ المستعمِر لغتَه فرضًا على الأمّة المستعمَرَة، ويركبهم بها، ويُشعِرهم عظمته فيها، ويستَلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحد: أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجنًا مؤبّدًا، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونِسيانًا، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ»١٧.

وإنه من المؤسف جدا في هذا الزمان أن نرى هذا الضعف الشديد الذي أصاب أبناء العربية، وإنه من المبكي أن تسمع بعض طلبة العلم حينما يتكلم، أو يكتب، يخطئ لدرجة أنك تحسب أنه في بداية الطلب، وقد تسمع مقالا أو بحثا ذا أهمية، ويزهدك فيه ما شوهه من اللحن في الكلام أو الكتابة، وهذا ينقص من قدر صاحبه ويضيع بذلك قدر اللغة في أوساط أهلها، وهكذا..

يقول شيخ الإسلام: « اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق»١٨.

إذا الطالب أراد أن ينأى بلغته عن الوضع الذي وصلت إليه في أوساط أهلها فعليه أن يتفاعل معها ويجعلها في جميع ميادين العلم والحياة، يقول الدكتور كمال بشر: « إن جمود اللغة وتخلفها، ونموها وازدهارها، كل أولئك يرجع أولاً وآخراً إلى وضع أهليها، وإلى نصيبهم من التعامل والتفاعل مع الحياة، وما يجري، في العالم من أفكار وثقافات ومعارف جديدة ومتنامية، فإن كان لهم من ذلك كله حظ موفور انعكس أثره على اللغة، وإن قل هذا النصيب أو انعدم، بقيت اللغة على حالها دون حراك أو تقدم، اللغة لا تحيا ولا تموت بنفسها، وإنما يلحقها هذا الوجه أو ذاك بحسب الظروف والملابسات التي تحيط بها، فإن كانت الظروف فاعلة غنية بالنشاط العلمي والثقافي والفكري، كان للغة استجابتها الفورية ورد فعلها القوي

تعبيراً عن هذه الظروف وأمارة ما يموج به المجتمع من ألوان النشاط الإنساني، وإن حرمت اللغة من هذا التفاعل ظلت على حالها وقدمت للجاهلين فرصة وصمها بالتخلف والجمود، في حين أن قومها هم الجامدون المتخلفون»١٩.

ومنه فلا ريب أنه لا بد من نشر فقه التعامل باللغة العربية، والتركيز على التفاعل معها لتخرج الأمة من قوقعة الانهزام الذي أصاب أهلها، فلا يرون العزة فلا يرون العزة إلا في اللغة الأجنبية..

أيها الطالب الكريم: أسألك سؤالا وجيها: هل تريد العزة أو تريد غيرها؟

لا شك أنك تريد العزة، فإذا كنت تريدها فعليك بها، فإن العزة في اتباع شرع الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس/٦٥)، إن العزة في كتاب الله المنزل باللسان العربي، إن العزة في لغتك العربية لغة القرآن ..لغة النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام...لغة متبوعة لا تابعة.. فكن متبوعا لا تابعا..

أيها الطالب...إذا كانت العزة للمسلم، كيف له أن يتركها ويطلبها من غيره؟؟، وقد قال الله جل وعلا: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨]

أيها الطالب... إذا تركت أنت لغتك فمن يحملها عنك؟؟

..إذا تركت لغتك ضيعت شخصيتك، « لأن شخصية الأمة تبدو جلية عند اعتيادها الأخذ بلغة الكتاب العزيز، وأن ترك اللغة مضيعة لشخصية الأمة وامّحاء لها، وذوبان لتلك الشخصية في كيان الأمم التي تتكلم الأمة لغاتها، فإن تركت الأمة لغة كتاب ربها إلى لغة أعدائها الذين يبيتون ويظهرون عداءها، تعتد بلغتهم وتحتفل، فاعلم أنها أصبحت أمة لا شخصية لها، وعُدّ شخصيتها في الموتى، وكبر عليها أربعا »٢٠.

أيها الطالب...إنه الدين الذي يجب لنا أن نفتخر به، وأن نتشرف بالانتساب إليه، هو شرفنا وعزنا ورفعتنا، يقول جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]. أي: شرف لك وشرف لقومك وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُمَا وَمُجَاهد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ بمعناه.

ويقول الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠]

يقول السعدي – رحمه الله – : «أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم»٢١.

أيها الطالب...قد علمت أن تعلُّمَ العربية صار واجبا على المسلم ليقرأ القرآن، وليتعلم التفسير والفقه والعقيدة، وغيرها من علوم الدين، ولا يخفى عليك ما للعلم الشرعي من دور فعال في بناء شخصية قوية لك، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة.

أيها الطالب... علينا أن نعقل المسألة كما أمرنا بذلك ربنا جل وعلا، أفلا نعقل أنه إذا كان القرآن مهيمنا على الكتب السابقة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أفلا تكون لغته مهيمنة على ما سواها من اللغات الأخرى؟ والجواب: بلى.

أفلا نعقل أنه إذا كان محمد صلى الله عليه خاتم الأنبياء والمرسلين مرسلا إلى الناس أجمعين، فلغته تصلح للناس أجمعين؟

أيها الطالب...قد عرفت قدر لغتك وأدركت شرفها...فبالله عليك..لغة هذا شأنها، بل بعض شأنها أفلا نعتز بها فنتحدث بها؟، أفلا نعتز بها فنتعلمها؟، أفلا نعتز بها فتعلمها؟

يا فتيةَ الضادِ! حان الوقتُ فاطّرحوا
هذا الوَنَى وانهَضوا فالناسُ قد طارُوا
سيروا على نهجِ آباءٍ لكم سلَفوا
فإنهم في طريق المجدِ قد سَارُوا
وإن العــزمَ لا تثنيــه عــاديــةٌ
عن المُضيّ ولا يُـضْـفيه إعـصارُ

أيها الطالب...إليك نتف من حال السلف في الاعتناء باللغة العربية، فاقرأ على مهل، وطبق على عجل..

حال السلف في الاعتناء بالعربية

وقد كان السلف يعتزون بالعربية، ويحرصون على تقويم ألسنتهم ويحذرون أشد الحذر من اللحن فيها، بل ويعدون ذلك عيبا ومنقصة، وهذا لما يعلمونه من أثر اللغة في بناء شخصية أبنائهم القوية.. « ولذلك حرَصوا حرصا شديدا على لغة القرآن والسنة، وشددوا النكير على من حاد عنها إلى غيرها، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير »٢٢.

أخرج ابن عبد البر عن عمر–رضي الله عنه– قال:« تعلموا الفرائض، والسنة ،

كما تعلمون القرآن »٢٣.

وأخرج ابن أبي شيبة عنه-رضي الله عنه-« قَالَ: كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية »٢٤.

× وكان الذي لا يلحن أفضل عندهم -في الدنيا والآخرة- من الذي يلحن، فقد روى ابن حبان عن سالم بن قتيبة: « قال: كنت عند ابن هُبيرة فجرى الحديث حتى ذكروا العربية، فقال والله ما استوى رجلان حسبهما واحد ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يحلن إلا إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن؛ قال: فقلت: أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة ما باله فُضِّل فيها؟ قال: أنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت: صدق الأمير وبر»٢٥

× وكانوا يضربون أولادهم على اللحن..نعم يضربون أولادهم...، لما للحن من بعد عن مصدر العز وتأثير سيئ في شخصية الولد، فقد روى الخطيب في الجامع عن عمرو بن دينار:« أن ابن عمر وابن عباس، كانا يضربان أولادهما على اللحن»٢٦.

وروى عن نافع عن ابن عمر أنه كان يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ٢٧.

× وكانوا يعتبرون تعلم اللغة زيادة في العقل، فقد روى الزجاجي أنّ المحدِّث شعبة كان يقول: « تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل»٢٨.

قال شيخ الإسلام: «وما زال السلف يكرَهون تغييرَ شعائرِ العربِ حتى في المعاملات، وهو التكلّم بغير العربية إلاّ لحاجة، كما نصّ على ذلك مالك والشافعي وأحمد؛ بل قال مالك: مَنْ تكلّم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه، مع أنّ سائرَ الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوّغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام»٢٩.

وقال آخر:

النحو زين للفتى
يكرمه حيث أتى
من لم يكن يحسنه
فحقه أن يسكتا

قال حافظ على لسان اللغة العربية:

وسِعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً
وما ضِقتُ عن آيٍ به وعِظات
فكيفَ أضيقُ اليوم عن وصفِ آلةٍ
وتنسيقِ أسماءٍ لمُخترعاتِ

×× فالعربية ركن ركين، وأصل متين في بناء شخصية الطالب المسلم، بله العربي، فعليه أن يعتز بها وأن يرفع بها رأسا، فهو القدوة لغيره.

الهوامش

١: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع؛ ط ٠٢- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٣٦٦/٤).

٢: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة؛ ط١ (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م)، ص٥٩٧.

٣: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر (تونس)؛ ١٩٨٤ هـ، (٣١٤/١٦).

٤: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مكتبه الحلبي-مصر- (١٣٥٨هـ/١٩٤٠م)، ص٣٤.

٥: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية الثعالبي، شرح: ياسين الأيوبي، (المكتبة العصرية-بيروت-) ص٢٩.

٦: عبد الرحمن الحاج صالح، مقال من مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد ١٣- ص٩

٧: أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية، ص٩.

٨: المرجع نفسه، ص٨.

٩: الشافعي، الرسالة (٤٨/١).

١٠: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٠٧- (١٤١٩ هـ- ١٩٩٩ م)، (٥٢٧/١).

١١: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة-السعودية-)١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، (٢٥٢/٣٢).

١٢: الشوكاني، إرشاد الفحول، (ج٢/ص٢٠٩).

١٣: مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، المكتبة العصرية -بيروت، لبنان- ط١، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م)، ص٣١.

١٤: الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية-بيروت-(٢٨/٣).

١٥: المرجع نفسه، (٢٦/٣).

١٦: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ٥١٩/١

١٧: الرافعي، وحي القلم، ص٢٩.

١٨: ابن تيمية، المرجع السابق، ص٤٦٩

١٩ : كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ط. دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٥٤.

٢٠: محمد سعيد رسلان، فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، ص٨١-٨٢.

٢١: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥١٩.

٢٢:رسلان، فضل العربية، ص٧٦.

٢٣: أبو عمر يوسف بن عبد الله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي السعودية، ط١ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) جامع بيان العلم وفضله، ٧٨٠/١.

٢٤: أبو بكر ابن أبي شيبة، عبد الله، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد-السعودية- ح٢٥٦٥١.

٢٥: محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد (دار الكتب العلمية – بيروت) ،(ص٢٢٠).

٢٦: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف (الرياض -السعودية)، (ج٢/ص٢٩).

٢٧: نفسه، ص٢٩.

٢٨:الزجاجي، عبد الرحمن ابن إسحاق، الأمالي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل -بيروت(لبنان) ص١٨٥.

٢٩: ابن تيمية، الفتاوى، (٢٥٥/٢)